المحاضرة الخامسة:

مدارس الاقتصاد السياسي

المدرسة Mercantilism: التجارية

- يعد الفكر التجاري من أقدم المذاهب الاقتصادية، ظهر مع بداية القرن السادس عشر متأثرا بمجموعة من الظروف السائدة في تلك الفترة. و منه فقد ارتبط الفكر التجاري بأولى بوادر ظهور الرأسمالية سميت بالرأسمالية التجارية، وقد غطت مرحلة الرأسمالية التجارية الفترة من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر. من أهم أعلام المدرسة التجارية: أنطون دي مونكريتيان في فرنسا، وفون هورنيك في النمسا، وجوهان بيشر في ألمانيا، وتوماس من في بريطانيا.

أهم الأفكار الاقتصادية للتجاريين :

- اعتبروا التجارة والصناعة هي الأنشطة الرئيسة تابعة للدولة وفي خدمتها.
- تثمين المعادن النفيسة واعتبارهما مصدر للثروة، وذلك بتشجيع الحركة الاستعمارية لأجل جلب الذهب والفضة من المستعمرات
- الاهتمام بالتجارة الخارجية لأن الفائض الذي يتحقق من خلالها يساهم في تعويض الدولة عن افتقارها لمناجم المعادن النفيسة.
- تأييد تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية من أجل تشجيع الصادرات وخفض الواردات "منع لخروج المعادن النفيسة"، وهو ما يحقق فائض تجاري مربح للدولة.

مبادئ الفكر التجاري

- **الثروة الوطنية تتحدد في الذهب و الفضة**: فمقياس الثروة الوطنية يجب أن يقاس بما تملكه الدولة من ذهب و فضة (النقود) لأنه عن طريقهما يستطيع شراء ما يحتاج من أشياء، بالنسبة للفرد و الدولة على حد سواء، و يجب على الدولة أن تسعى لتنمية ثروتها من اجل تحقيق القوة.
- و قصد زيادة رصيدها من المعدن النفيس و بالتالي الثروة اقترح التجاريون ضرورة أن تعمل الدولة على تحقيق فائض في ميزانها التجاري و يتم ذلك بالعمل على تشجيع الصادرات و التقليل من الواردات حيث كلما تحقق فائض في الميزان التجاري تضطر الدول الأخرى إلى دفع قيمته بالمعادن النفيسة.(يسمح لها بطلب سداد الدين بالذهب والفضة)، و يؤدي زيادتها إلى زيادة قوة الدولة خاصة الحربية إذ تستطيع به تجهيز الجيوش والإنفاق عليها، فرصيد الدولة من الذهب والفضة وإن كان يدخل خزائن التجار إلا أنه يشكل قوة لها عن طريق الضرائب أو القروض الإجبارية التي تتحصل عليها من التجار.

مبادئ الفكر التجاري

التركيز على خلق فائض في الإنتاج

- مقابل السعي لاكتساب المعدن النفيس و بغية تحقيق فائض في الميزان التجاري على الدولة حسب التجاريين أن تسعى لزيادة الإنتاج انطلاقا من فرضية أن زيادة الإنتاج تؤدي إلى تحقيق فائض نقدي فلزيادة المعادن النفيسة لابد من زيادة الصادرات و بالتالي زيادة الإنتاج.

الثروة الكلية (معادن نفيسة) في العالم هي ثابتة الحجم:

- على الدولة أن تسعى لاكتساب اكبر قدر منها من اجل تعظيم قوتها على حساب الدول الأخرى، و عليه أكد التجاريون على ضرورة تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية من اجل تحقيق الفائض في الميزان التجاري و بالتالي تعظيم المكاسب من الثروة.

الأشكال الأساسية للمدرسة التجارية:

- **المركنتيلية المعدنية في اسبانيا:** (métallistic mercantilisme) التي تنادي بضرورة تقوية نفوذ الدولة عن طريق جلب أكبر قدر من الذهب والفضة، وتشجيع استغلال إسبانيا مناجم مستعمراتها الغنية بالذهب والفضة، خصوصا أن اسبانيا كان لها مستعمرات كثيرة في القارة الأمريكية التي كانت غنية بمناجم الذهب و الفضة. بذلك دعت إلى وضع قيود على التجارة الخارجية، ومنع تصدير الذهب إلى الخارج. وهذه الإجراءات كان الغرض منها زيادة حصيلتها من المعدن النفيس. و من اجل تحقيق هذه الأهداف اتخذت اسبانيا مجموعة من التدابير هي:
- تشجيع استخدام مناجم الذهب و الفضة.
- تقوية أسطول الدولة لنقل المعدن الثمين من العالم الجديد.
- إقامة رقابة جمركية دقيقة لمنع تسرب المعدن الثمين إلى الخارج.
- منع تصدير الذهب إلى الخارج إلا في حالات استثنائية مثل تسديد الديون الملكية، بعثات الحكومة في الخارج .

المركنتيلية الصناعية في فرنسا:

- كان للساسة الفرنسيين وجهة نظر خاصة حول كيفية تعظيم ثروة الدولة من المعدن النفيس، حيث ارتكزت المدرسة الفرنسية حول تنمية القطاعي الصناعي من خلال تشجيع و حماية المنتج المحلي كل ذلك قصد زيادة صادرات فرنسا و بالتالي تحقيق الفائض في الميزان التجاري. و قد كان تركيز فرنسا على المنتوجات الصناعية بحكم أنها اقدر على الزيادة و التوسع من المنتجات الزراعية، كما أن الزراعة تخضع للتقلبات الموسمية، فضلاً عن كون المواد الزراعية، رخيصة الأسعار وذات وزن كبير .ولذلك فالأهم هو الوصول إلى تصدير بضائع عالية القيمة بتطوير الصناعة الوطنية مما يفضي إلى الاستغناء عن شراء المنتجات الغالية من الخارج وتصدير هذه المنتجات نفسها إليها. و من أهم التدابير العملية المعتمدة لذلك:
- تسهيل استيراد المواد الأولية بإعفائها من الرسوم الجمركية ومنع إعادة تصديرها قبل تصنيعها.
- إعفاء المواد المصنعة من الرسوم الجمركية، فضلاً عن تحسين الجودة لكسب الأسواق والمنافسة.
- فرض قيود شديدة على استيراد المنتجات الصناعية مع منح إعانات تصدير للمنتجات الصناعية.

المركنتيلية التجارية في بريطانيا:

- ركزت بريطانيا في محاولة حصولها على المعدن النفيس على تنشيط القطاع التجاري خصوصا انه لم يكن لها من المستعمرات ما يمكنها من الحصول عليه، و عليه اعتمدت بريطانيا على قطاع التجارة و الملاحة ذلك أن التجارة الخارجية حسب دعاة هذه النظرية تزيد في غنى الدولة أكثر من الصناعة. و من أهم التدابير العملية لتحقيق ذلك:
- الحصول على ميزان تجاري راجح: تزيد فيه الصادرات عن الواردات على ان يدفع الفارق بالمعدن النفيس.
- تقوية الأسطول البريطاني.
- حرية التجارة الخارجية ليتاح لبريطانيا الدولة التجارية البحرية الكبرى التحرك في عالم واسع.

الانتقادات الموجهة للمذهب التجاري:

- يُعاب على هذا المذهب أنّه ذو توجه شمولي تقتصر نظرته على الدولة كفاعل اقتصادي، ولا يعني بتصرفات الأفراد ومشكلاتهم الاقتصادية، وحتى التحليل الاقتصادي للظواهر والعلاقات فيما بينها فإنه لم يحظ بعناية من التجاريين، لأن المفكر التجاري أقرب إلى الداعية منه إلى صاحب التحليل. وإذ المذهب التجاري يهدف أساسا إلى زيادة ثروة الدولة، فإنه يشجع على استعباد الشعوب وسرقة ثرواتهم، وهذه الأفكار هي التي أسست لفكرة الاستعمار وجعلت العديد من الدول خاصة الإفريقية منها تعاني لقرون عديدة من ويلاته ولا زالت أثاره قائمة إلى حدّ الآن